

## من الاتجاهات الحديثة في تعليم اللغات الأجنبية مع التطبيق على تعليم اللغة العربية

التناول العلمي لتعليم اللغة العربية للأجانب حديث نسبياً ، بدأ منذ ستينيات هذا القرن ، بدراسات « جريس ، وسامي حنا ، وخوري ، ويونس ، وطعيمة ، وبادي » .

تناولت هذه الدراسات موضوعات متفرقة في هذا المجال ، لكن هذه الدراسات - لسبب أو لآخر - تركزت حول المواد التعليمية ، والتقويم ، وإعداد البرامج ، والمشكلات التي يواجهها الأجانب في تعلم هذه اللغة .

أما الاتجاهات الحديثة في تعليم اللغات الأجنبية ، وتطبيقها على تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية فلم تزل حظاً وافراً من الدراسة سوى عدة مقالات ظهرت هنا أو هناك ، وتناولت طرق التدريس في اللغات الأجنبية ، وانقرائية المواد التعليمية ، ومن هنا تظهر الحاجة إلى تناول مثل تلك الاتجاهات .

ومن أهم الاتجاهات الحديثة في تعلم اللغات الأجنبية الاهتمام بالجانب الثقافي في اللغة والنظر إلى اللغة على أنها وسيلة اتصال ، والاهتمام باستخدام الوسائل التعليمية المختلفة ، والتكامل في النظر إلى اللغة ، والاهتمام بالجانب الشفوي من اللغة ، وتنويع البرامج بحسب الأهداف .

وفي هذه الدراسة سوف نركز على الاتجاهين الأولين من هذه الاتجاهات الاهتمام بالجانب الثقافي من اللغة ، والنظر إلى اللغة على أنها وسيلة اتصال .

وفيما يلي نقدم هذين الاتجاهين ، وما يرتبط بهما من أبعاد ، وتطبيقهما في مجال تعلم اللغة العربية للأجانب .

أولاً : الاتجاه إلى الاهتمام بالجانب الثقافي من اللغة :

ما الثقافة : "culture"

تعتبر كلمة الثقافة من الكلمات التي يغمض على بعض الأفراد فهم معناها وتبين حقيقتها ؛ إذ يرى بعض الناس أن كلمة (الثقافة) مرادفه لكلمة « التعليم » أو التعلم فالفرد المثقف إذن هو الفرد المتعلم أو المتحضر ، كذلك يخلط البعض بين الثقافة والحضارة "Civilization" – ويجعل هذين اللفظين مترادفين؛ أي يدلان على معنى واحد ؛ مع إن الحضارة تعني في الحقيقة سيادة القانون وسيطرته على سلوك المجتمع الإنساني ، أي أن الحضارة لازمة من لوازم المجتمعات التي قطعت شوطاً لا بأس به من الرقي ، وليست الثقافة كذلك ، والثقافة كما يُعرفها علماء الاجتماع "Sociology" وعلم الإنسان "Anthropology" وعلماء التربية : هي جميع ما أنتجه العقل الإنساني ، وعاش به أوله ، ويشمل ذلك اللغة والدين والعادات والتقاليد والأزياء والمباني والمواصلات . . . إلخ ، وعلى هذا يمكن القول أن كل مجتمع متحضر مجتمع مثقف وليس العكس ، حيث أن للقبائل البدائية ثقافة ، وليس لها حضارة من جنس الحضارات التي لدى الشعوب التي قطعت شوطاً من الرقي .

والثقافة العربية وليدة عوامل كثيرة تراكمت على مر السنين ، وتبلورت وأصبحت ذات خصائص متميزة ، وربما كان من أهم ما يميز هذه الثقافة أنها ثقافة روحانية وعلمية في نفس الوقت وهي ثقافة إيجابية وليست تواكلية كما يحلو للبعض أن يصفها ، وهي حضارة عربية وعميقة ، وليست سطحية كما يدعي «رينان» الفرنسي .

وإن كانت الثقافة العربية قد كبت زمناً فذلك شأن جميع الثقافات ، ولكن المهم هي أنها تملك من عناصر القوة ما يجعلها تتغلب على عوادي الزمن وتقلبات الخطوب .

## ما العلاقة بين تعلم اللغة والثقافة؟

تبرز علاقة اللغة بالثقافة من حقيقة أن اللغة جزء من الثقافة وهي (أي اللغة) عمومية من عمومياتها واللغة ظاهرة اجتماعية ، شأنها شأن جميع الظواهر الاجتماعية الأخرى التي تتغير وتبدل وتنتقل من قول إلى آخر حسب سنن مطردة ومتتابعة .

### وقد عرِّفت اللغة عدة تعريفات من أهمها :

أن اللغة عبارة عن رموز صوتية منتظمة بواسطتها يتفاعل أعضاء الجماعة ويتصل بعضهم ببعض الآخر أي أن اللغة وظيفة اجتماعية .

بينما يرى البعض الآخر أن اللغة وظيفتها فكرية بالدرجة الأولى ، وهم لذلك يعرفون اللغة بأنها رموز صوتية منتظمة يعبر بها الفرد عن أفكاره للآخرين ويتلقى أفكارهم . . . وأما عن علاقة تعليم اللغة بالثقافة فإننا نذكر أن الاتجاه السائد الآن في تعليم اللغات الأجنبية هو الاهتمام بتعليم الثقافة كالاتمام بتعليم مهارات اللغة الأربعة : الاستماع والحديث والقراءة والكتابة ، ومن النادر أن نجد كتاباً يتناول تعليم اللغات الأجنبية ولا يتعرض لتعليم الثقافة أو لتقديمها ، ذلك أن الفهم الثقافي أصبح أمراً لا مفر منه في تعليم اللغات الأجنبية وذلك بعد أن ثبت أن الخلفية الثقافية أساسية ومهمة لفهم اللغة والسيطرة عليها بل إن الفهم الثقافي يعمق ويغني فهم الفرد اللغة التي يتعلمها .

وهناك كثير من الأبعاد المتعلقة بالألفاظ وبالتراكيب التي يلم بها الفرد ومن أن يعرف مغزاها الثقافي . . . خذ مثلاً كلمات مثل الخمر "Wine" ولحم الخنزير "Pork" والبيرة . . . والبومة "Oul" (علامة التشاؤم) إلخ من هذا الكلام .

إن لكل لفظة من هذه الألفاظ - علاوة على المعنى الحرفي - معنى ثقافياً آخر يضرب بجذوره إلى أبعاد تاريخية وثقافية مختلفة في المجتمعات على مستوى العالم كله .

ومن هنا لابد أن يوجد وعي ثقافي بالخلفيات التي تُكوّن ثقافة ما وتميزها عن غيرها من الثقافات ، هذا علاوة على أن الفهم الثقافي يعتبر من أهم أهداف تعليم اللغات الأجنبية ، وسنورد فيما يلي بعض الأفكار المتعلقة بهذه القضية المهمة :

يُذكر دائماً من أن من بين أهداف تعليم اللغات الأجنبية زيادة التفاهم الدولي ، وذلك بتمكين الطالب من الفهم العميق لحياة الناس الذين يتكلمون اللغة الأجنبية وفهم أديهم وفنونهم ، وقد يختلف التأكيد على هذا الهدف من فترة إلى أخرى ولكنه كان وما يزال حاضراً في أذهان المدرسين . .

وفي عام ١٩٠٤م ذكر «يسبرسن Jespersen» في كتابه : كيف تعلم اللغة الأجنبية "How to teach a foreign language" أن الهدف الأساسي في تعليم اللغات الأجنبية يمكن أن يكون الاقتراب أو الوصول إلى ما لدى الأمة الأجنبية من أفكار وتنظيمات أو هدف أو ثقافة ، وباختصار يمكن أن يكون الهدف هو الاقتراب أو الاتصال بروح الأمة بأوسع ما تؤديه هذه الكلمة من معنى وفي عام ١٩٣٣م أعلنت جماعة «التعليم الثانوي» في ولاية «ماساشوسيتس» أن القيمة العملية الأولى لتعليم اللغة الأجنبية هي : كسر حواجز الإقليمية بين الأمة وإقامة روح الفهم العالمي والصداقة التي تقود إلى سلام العالم .

### كيف يتحقق هذا الهدف؟

إن هذا الهدف لا يمكن أن يتحقق بدون التحليل الواضح لجميع العوامل التي لها دوراً في تحقيقه ، وبهذا التحليل يمكن للمدرس أخذ هذه العوامل جميعها في الاعتبار حين يقوم بتعليم اللغة الأجنبية .

وقد يعترض بعض المدرسين على ذلك قائلين : إنه ليس من مسؤوليتهم تنمية الوعي لدى الطلبة باتجاهات الآخرين وعاداتهم وطرق حياتهم ، ذلك أن هدفهم الوحيد هو تعليم تلاميذهم التراكيب الأساسية للغة الأجنبية وتنمية مهارات الفهم واستخدام اللغة شفويّاً أو كتابياً . . . إن مثل هؤلاء المدرسين

يتجاهلون أو ينكرون أن اللغة لا تنفصم عن الثقافة التي يظهر فيها أن أي استخدام حقيقي للغة ، وأي قراءة لنصوصها وأي استماع إلى حديث أصحابها يضم بصورة أو بأخرى بعض الأنماط الثقافية سواء كان المدرس واعياً بها أو غير واعٍ ، وإذا لم يتعرف المدرس هذه الأنماط ويقدمها لتلاميذه فإنه سوف ينمي لديهم بعض الأفكار الخاطئة عن الثقافة الأجنبية وعدم الفهم الواضح بل وعدم التجاوب الفكري ، إن مجرد الطلاقة في استخدام اللغة الأجنبية دون وعي بتطبيقها أو استخدامها المناسب ، إن مجرد الطلاقة هذه غير ذات معنى بل إن المهارات المستخدمة بهذه الصورة سوف تكون مهارات مصطنعة أو فارغة . لقد صاغ العالم النفسي «أوزجود Osgood» نظرية المعنى اللغوي بقوله : إن المعنى التام لكلمة أما بالنسبة لفرد ما هو نتاج المجموع الكلي للخبرات التي لدى الفرد مع الكلمة في البيئة الثقافية التي نما فيها .

### كيف نعني بالثقافة في حجرة الدراسة؟

إن مجرد عرض أساليب مفككة وكلمات متفرقة لا تعطي الطالب صورة حقيقية عن الثقافات الأجنبية ولا تزوده بالفهم الثقافي المطلوب ؛ لذلك تلزم العناية التامة ببيان الموقف والظروف التي ترتبط باستخدام التراكيب والمفردات في الثقافة الأجنبية المرتبطة باللغة ، وأفضل وسيلة لذلك هي استخدام :

١- المقارنات التي يقوم بها المعلم بين ثقافة اللغتين القومية والأجنبية .

٢- الزيارات .

٣- الأفلام .

٤- الصور والرسوم والنماذج .

٥- المعارض والمتاحف .

٦- التوجيه الثقافي .

٧- المحاضرات والندوات التي يقيمها أصحاب اللغة .

ومن الممكن أن يتم عرض الثقافة الأجنبية تحت وحدات دراسية أو مشروعات يقوم بها الطلبة أنفسهم مثال ذلك :

١- وحدة عادات الزواج عند العرب .

٢- وحدة الشراب والطعام عند العرب .

٣- وحدة الملابس عند المرأة العربية .

٤- وحدة الرياضة وأدوات الرياضة .

٥- وحدة الأسرة العربية وعاداتها .

٦- وحدة العبادة والدين .

٧- وحدة الزراعة.

وغير ذلك من قطاعات الحياة العربية التي تُعطي صورة حية وواضحة لدى المتعلم عن الثقافة العربية والمجتمع العربي على اختلاف بيئاته وتقاليده .

ويهدف تدريس الثقافة إلى تحقيق ثلاثة أمور أساسية هي :

٢- فهم طبيعة الثقافة الأجنبية .

٣- تقليل تعصب الفرد لثقافته .

٤- فهم البعد التاريخي للثقافة القومية والعالمية .

وفي الحقيقة تؤدي دراسة الثقافة الأجنبية إلى إخراج التلاميذ مما يسمى بالحصار الثقافي إلى رحاب وآفاق أوسع ، وفي كل هذه الأحوال من المهم جداً أن يكون المدرس على علم كافٍ بثقافة تلاميذه لكي يكون قادراً على المقارنة الثقافية بين اللغتين القومية والأجنبية . . . وهناك نقطة في غاية الأهمية وهي ألا يحاول المدرس أن يبرهن على أفضلية ثقافة على ثقافة أخرى ذلك أن لكل ثقافة ووظائف خاصة في المجتمع ، لا يمكن أن تقوم بها في مجتمع آخر ، وعلى هذا ينبغي أن يكون تقديم المدرس للثقافة موضوعياً وتحليلياً ومعرفياً فقط وهناك اتجاهات في تقديم الثقافة الأجنبية :

١- تخصيص وقت لتعليم الثقافة .

٢- عدم تخصيص وقت لذلك .

ويؤخذ على الاتجاه الأول أنه يشبه تدريس المواد الاجتماعية وعلى هذا يفضل الاتجاه الثاني حيث أنه يتم في إطار تعليم اللغة الأجنبية ، ومرتبباً بها ومتكاملاً معها ، كذلك فإن الاتجاه الثاني يفضل في المراحل الأولى فمن تعليم اللغة حيث يكون الدارسين غير قادرين على استيعاب الثقافة من خلال استخدام اللغة الأجنبية التي يتعلمونها ؛ ومعنى هذا أن الاتجاه الأول (تخصيص وقت تعليم الثقافة) يمكن الأخذ به في المراحل المتقدمة من تعليم اللغة .

وفي ثقافة اللغة العربية المرتبطة بتعليم تلك اللغة قام «رشدي طعيمة» بدراسة علمية في هذا المجال ، ومن هذه الدراسة حدد الملامح الثقافية أو بتعبير أدق المعالم الحضارية في معظم البلاد العربية ومثل هذه المعالم يمكن الإفادة منها في تكوين محتوى ثقافي جيد يُعتمد عليه في بناء مجموعة من الدروس .

ومما يلفت النظر في تلك الدراسة أن المعالم الحضارية أو المحتوى الثقافي لبعض جوانب الحياة العربية قد شمل معظم البلاد العربية (١٣ بلداً) ومن هنا يمكن لمؤلفي الكتب أن يستفيدوا من هذه الدراسة في إلقاء الضوء على بعض المعالم الحضارية والثقافية في البلاد العربية من أقصاها إلى أداها ، ومن المهم أن تتلو هذه الدراسة دراسات أخرى تتعمق في الثقافة العربية وتقدمها إلى مؤلفي كتب تعليم اللغة العربية للأجانب للإفادة منها .

ثانياً : النظر إلى اللغة على أنها وسيلة اتصال :

وقد أدى إلى الأخذ بهذا الاتجاه في تعليم اللغات الأجنبية عدة أمور ، تجمعت فيما يلي :

١- في السنوات القليلة الماضية زاد الاتصال بين الأمم والشعوب زيادة كبيرة ومطرده نتيجة النمو في حجم التجارة ووسائل الاتصال كالتلفزيون والراديو وظهور مشروعات التعاون الثقافي والتبادل التربوي .

٢- وهناك - أيضاً - كثير من الجامعات الدولية التي تناقش عدداً كبيراً من الموضوعات ومن المشروعات ذات المستوى العالمي .

٣- كذلك فإن هناك حاجة دائمة ومطرده لتبادل الخبراء والعلماء والأساتذة الذين يعملون في أقطار غير أقطارهم بهدف التنمية والإثراء الفكري .

ونتيجة لهذه التطورات والأسباب يقدر كثير من الناس في العصر الحاضر قيمة أن تكون لديهم معرفة واسعة للغة أخرى غير لغتهم القومية ، هذا علاوة على بروز أهمية القدرة على التحدث بلغة أجنبية ، وعلى فهمها من المتحدثين بها ، وزاد على ذلك بروز عيوب الاتجاهات القديمة في تعليم اللغات الأجنبية تلك التي كانت تركز أساساً على القراءة والكتابة والترجمة دون العناية الكافية بمهارات الحديث والاستماع ، وهذه الأخيرة في غاية الأهمية بالنسبة لعالم اليوم الذي يقف كل فرد فيه على عتبة الآخر .

والتأكيد الجديد على مهارات الاتصال في تعليم اللغات الأجنبية أدى إلى ظهور وبلورت ما يسمى بالطريقة الشفوية والسمعية التي تهدف إلى تنمية مهارات الاستماع والحديث أولاً كأساس لبناء مهارات القراءة والكتابة ؛ ولأن التسمية "Aural-Oral approach" تشير نوعاً من اللبس في النطق بين الكلمتين "Aural" التي تعني (سمعي) و"Oral" التي تعني شفوي . . فقد اقترح (نيلسون) تغيير ذلك الاسم إلى "Aural-lingual approach" أي المدخل السمعي اللغوي كما ذكر (بروكسي) . وستناول فيما يلي ما ترتب على النظر إلى اللغة على أنها وسيلة اتصال من تغيرات جذرية في طرق تدريس اللغات وفي الإجراءات المختلفة التي تستخدم في هذا المجال ، وأساس هذه الطريقة (الطريقة السمعية - الشفوية) يوجد عند علماء اللغة الأمريكيين ، وعلماء الاجتماع وعلماء النفس السلوكيين ، ففي العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن كانت هناك دعوى مدوية للبحث الموضوعي والعلمي للسلوك الإنساني ، وقد كان لهذه الدعوة تأثيرها على البحث في علم اللغة ، إذ اتجه في دراسة

اللغة إلى ما يسمى بالطريقة الوصفية "Descriptive method" في تناول اللغة ، كذلك حاول علماء اللغة النحويون أن يصوغوا الأنماط الصوتية والتراكيب اللغوية لكل لغة من اللغات كما لاحظوها في الواقع بدون محاولة لتكييفها لتناسب مع إطار موضوع مسبقاً ، ومبني على قواعد اليونانية أو اللاتينية أو غيرها من اللغات .

وهذه الطريقة الوصفية في البحث اللغوي قادت إلى النظر فيما يقوله الناس بالفعل في لغاتهم القومية ، وهذا بالطبع يتناقض تماماً مع ما كان يدعو إليه النحاة التقليديون من ضرورة البحث فيما ينبغي أن يقوله أصحاب اللغة .

وفي هذه الفترة - أيضاً - أجريت عدة بحوث قام بها علماء الأثنروبولوجي حول أنماط وأنواع السلوك الإنساني في الثقافات المختلفة ، وظهر لأمثال هؤلاء العلماء أن اللغة نشاط اجتماعي تُكتسب عاداته من خلال التفاعل في الحياة الاجتماعية وظهر - أيضاً - أن اللغة أمر مكتسب ويخضع لعوامل معروفة في علم النفس التعليمي ، وقد أيد هذا الاتجاه - فيما بعد - علماء النفس السلوكيون الذين ذكروا أن العادات الاجتماعية ترتبط أساساً بعاملين مهمين هما : المثير "Stimulus" والاستجابة "Response" أو التعزيز "Reinforcement" ومعنى هذا أن الفرد يتعلم اللغة أساساً حينما يسمعها ؛ فالأصوات المنطوقة هي المثير ويرتبط المثير بالاستجابة ، لكن الاستجابة لا تثبت أو تتأكد ما لم يتلوها تعزير .

واللغة القومية على هذا الأساس سلوك متعلم يكتسبه الطفل "Infant" في شكله المتكلم (الشفوي) أولاً ، وقد انتقل هذا إلى تهيئة نظرية أن الطلبة يتعلمون اللغات الأجنبية بسهولة أكثر حين تظهر هذه اللغة في الشكل الشفوي أولاً قبل الشكل المكتوب .

هنا علاوة على أن الطريقة الشفوية الأذنية قد أعطيت دفعة قوية في أثناء الحرب العالمية الثانية حين اكتشف الأمريكيون أنهم عاجزون إلى حد ما عن

الاتصال الفعال بحلفائهم في الحرب وأنهم في حاجة إلى جنود وضباط وموظفين أكثر كفاءة في استخدام اللغة الأجنبية من أجل الاتصال المباشر مع غيرهم ، ومن هنا برزت أهمية فهم المتحدث بلغته القومية ، وأهمية استخدام اللغات الأجنبية بصورة تقترب من حيث النبر والتنغيم من نطق صاحب اللغة لها ؛ ولذلك أنشأ الجيش الأمريكي بعض المدارس مستخدماً هذه الطريقة ، وقد نجحت التجربة نجاحاً كبيراً في السيطرة على مهارات الاتصال في اللغات الأجنبية .

وبعد الحرب اهتم مدرسو اللغات الأجنبية بهذا الأسلوب واستخدموه لتعليم اللغة الإنجليزية للأجانب في الولايات المتحدة ، وقد أعد المدرسون ذوو الخبرة بالمواد التعليمية كتباً مؤلفة طبقاً للأسلوب الجديد في تعليم اللغات الأجنبية وكانت ١٩٥٨م هي السنة الأولى التي ظهرت فيها مواد مؤلفة لخدمة هذه الطريقة .

ولقد امتدت الآن الطريقة الشفوية الأذنية إلى كل مكان في القارات الست ، وهناك من يستخدمونها بدون تحفظ وهناك من يستخدمونها بتحفظ ما ، وعلى أية حال فإنه مع التقدم الذي أحرزته تكنولوجيا التعليم استخدمت الأشرطة ومعامل اللغات والسينما وغير ذلك من الوسائل في تقديم المواد الدراسية ولقد وجد بالفعل أن هذه الأدوات مفيدة جداً في عملية تنمية مهارات الاستماع والحديث .

أما عن المبادئ اللغوية التي طبقت وكانت وراء استخدام ظهور هذه الطريقة فهي :

- ١- اللغة حديث وليست كتابة .
- ٢- اللغة مجموعة من العادات .
- ٣- علم اللغة ولا تعلم عن اللغة .
- ٤- اللغة ما يقوله المتكلمون بها .

وفيما يلي نلقى بعض الضوء على هذه المبادئ .

أولاً : اللغة حديث وليست كتابة : تُتعلَّم - عادة - اللغة القومية أولاً في شكلها المنطوق قبل أن يدخل إلينا شكلها المكتوب المتمثل في رموز الكتابة كذلك فإن الحديث أو الاتصال الشفوي هو الشكل الأول الذي ظهرت فيه جميع لغات العالم ، وعلى هذا فأنصار الطريقة الشفوية الأذنية يؤكدون على الاستماع والحديث كجزأين مهمين في اللغة قبل تعلم القراءة والكتابة .

وليس معنى هذا أن الطالب ينبغي أن يعرف اللغة بدقة كاملة قبل أن يتعلم القراءة ، بل يعني أن أي جزء من اللغة يقدمه المعلم ينبغي أن يسيطر عليه شفويًا أولاً ثم يُقدَّم بعد ذلك في الصورة المكتوبة ، وهذا الترتيب الاستماع والحديث والقراءة والكتابة ينبغي أن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفهم وبالناطق الصحيح وبما يسمى التنغيم ، وعلى هذا يرى أنصار هذا الاتجاه أن التقديم المبكر للشكل المكتوب للغة يمكن أن يكون تهديداً للنظام الصوتي وتهديداً كذلك للنبر اللغوي القريب من النبر القومي ، ومثل هذا المبدأ (اللغة حديث وليست كتابة) قاد بعض الناس إلى الاعتقاد بأن الشكل المكتوب للغة مهمل في هذه الطريقة ، ولكن الحقيقة أن هذا الأمر غير صحيح ذلك أن المطلوب فقط هنا هو أن يقدم الشكل الشفوي للغة على الشكل المكتوب .

ثانياً : اللغة مجموعة من العادات :

اللغة مثلها مثل العادات الاجتماعية الأخرى التي يكتسبها الطفل في مجتمعه، لقد تأثر علماء هذه الطريقة بنظرية الاشتراط الإجرائية التي كان من أنصارها « بافلوف وسكينر » . . وطبقاً لهذه النظرية يتم اكتساب العادات حينما تُتَّبَعُ الاستجابة بما يسمى بالمكافأة أو التعزيز .

ثالثاً : علم اللغة ولا تعلم عن اللغة :

وهذا المبدأ ثورة ضد طريقة القواعد والترجمة حيث يوجد في هذه الطريقة تركيز متزايد على مناقشة مبادئ القواعد واستثناءات هذه المبادئ ومن المعروف أن التدريبات الشفوية في طريقة القواعد والترجمة لا تنمي مهارات اللغة الشفوية .

ويعني مبدأ (علم اللغة ولا تعلم عن اللغة) أن دراسة القواعد وسيلة لغاية ؛ وهي الاستخدام الفعال للغة من الناحيتين الشفوية والكتابية والقواعد بهذا تبدو وأكثر فائدة وأكثر إيجابية .

رابعاً : اللغة ما يقوله المتكلمون بها :

ويعني ذلك المبدأ أن التراكيب التي يتعلمها الطلبة بالطريقة السمعية الشفوية هي التي يسمعونها حولهم في الحياة اليومية في الوطن الذي تستخدم فيه اللغة ، ويتغلب مثل هذا الاتجاه على التراكيب الصناعية التي تُقدّم في كثير من الكتب المقررة المستخدمة في تعليم القواعد ، إذ أن مثل هذه التراكيب الصناعية تثبت أنها ذات فائدة قليلة من الناحية العملية وذات فائدة قليلة - أيضاً - في الحياة اليومية والاتصال بالناس الذين يستخدمون اللغة .

وفي الحقيقة تُفضّل في الطريقة السمعية الشفوية المواد التي ترتبط إلي حد كبير بمواقف الحياة اليومية ، ومثل هذه المواد يستخدم فيها الحوار .

خامساً : اللغات مختلفة ومتباينة :

لقد رفض علماء اللغة النحويون الفكرة القائلة بالنظام النحوي العالمي الذي يمكن أن يكون إطاراً لتنظيم الحقائق المتعلقة بجميع اللغات ، إن هؤلاء العلماء (علماء اللغة النحويين) قد حللوا كل لغة طبقاً لعلاقاتها اللغوية الفريدة؛ ولأن معظم الصعوبات بالنسبة لمتعلم أي لغة أجنبية تمكن في هذه النقاط المختلفة بين لغة وأكثر فإن مواد الطريقة السمعية الشفوية صُممت بقدر الإمكان لتبرز مشكلات اللغة الأجنبية التي تختلف فيها عن اللغة القومية ،

ولذلك نجد أن مواد الطريقة الشفوية تعطي أهمية خاصة لمواطن الاختلاف والتقارب بين اللغتين (لغة الطالب القومية واللغة الأجنبية التي يتعلمها) .

ومن هنا نستطيع القول : إن هناك اختلافاً أساسياً بين تقديم القواعد في الطريقة الشفوية وتقديمها في طريقة القواعد والترجمة فتقديمها في الشفوية يتبع التنظيم الذي نسميه في المناهج بالتنظيم السيكولوجي ؛ أي التنظيم الذي يعتمد على حاجات الطالب المباشرة بينما يُتبع في طريقة القواعد والترجمة مما يُسمى بالتنظيم المنطقي الذي يخضع لقانون المادة نفسها أو لمبادئ المادة المتعلمة .

### نظرية الإدراك الفكري والانتقادات الموجهة إلى الطريقة السمعية والشفوية :

إن أحدث الاتجاهات في تدريس اللغة الأجنبية يطلق عليه ما يسمى بنظرية الإدراك الفكري ؛ وقد وجه أصحاب هذه النظرية جل همهم إلى نقد الطريقة « نظرية الشفوية » وإلى الإفادة من علم النفس المعرفي أو الإدراكي ، والإفادة - أيضاً - اتجاه « تشوسكي Chomsky » في النحو وقد ذُكر في قاموس التراث الأمريكي "The American heritage dictionary" .

إن الإدراك الفكري أو التفكير "Cognitive" هو العملية العقلية أو القدرة العقلية التي تُحصَلُ بها المعرفة ، ولها عدة خصائص أساسية :

- أولاً : التفكير عملية .
- ثانياً : وهذه العملية عقلية .
- ثالثاً : وهذه العملية هادفة .
- رابعاً : وهذه العملية (التفكير) داخلية .

- خامساً : وهذه العملية يتحكم فيها المتعلم في النهاية حتى لو كانت هذه العملية واقعة تحت تأثير ضغوط خارجية ، وفي هذه النظرية ينظر إلى العقل

على أنه أداة نشطة في عملية التفكير والتعلم ، وهذا يعني أنه ليس هناك متعلمون سليون ، وبهذا المعنى - أيضاً - يحتاج التعلم إلى اشتراك عقلي إيجابي من جانب المتعلم .

وقد ذكر أصحاب نظرية الإدراك الفكري كثيراً من الانتقادات التي وُجّهت إلى هذه الطريقة (الطريقة الشفوية - الأذنية) وذكروا أن الحماسة المتزايدة لاستخدام الطريقة الشفوية خبت جذوتها في النصف الثاني من الستينيات ، واعتمدوا على ذلك :

١- رأي المدرسين .

٢- أصحاب نظرية القواعد الانتقالية التوليدية<sup>(١)</sup> .

٣- علماء النفس المعروفون .

### (١) رأي المدرسين :

ذكر بعض معلمي اللغات الأجنبية الانتقادات التالية ضد استخدام الطريقة الشفوية - الأذنية .

١- الاعتماد على الإذن فقط في بداية تعليم اللغة يمكن أن يعوق بعض التلاميذ الذين هم أكثر اعتماداً على أبصارهم .

٢- يجد المدرسون أنه من المستحيل حذف اللغة الأم من الفصل ، وهم يشعرون أن مثل هذا الإجراء لا مبرر له .

٣- أن تجنب أي مناقشة في القواعد حتى تتعلم التراكيب جيداً . إضاعة للوقت ومحبط للتلاميذ .

٤- التكرار المستمر المطلوب في التعلم يؤدي أحياناً إلى الملل ويضيف جهداً عضلياً ملحوظاً على المدرس .

---

(١) نظرية القواعد الانتقالية التوليد "Transformational generative grammar theory"

٥- يحتاج الطلبة في تعليمهم اللغات الأجنبية أن يعرفوا ماذا يتعلمون ولماذا؟

## (٢) علم النفس المعرفي أو الإدراكي :

يُنظَر في علم النفس السلوكي إلى التعلم على أنه : عملية اكتساب سلوك جديد عن طريق الشرط أو المثير والمكافأة أو التدعيم أي أن العاملين الأساسيين هنا المثير والمكافأة ، وعلى هذا فكما يُفهم من هذه النظرية فإن العقل صفحة بيضاء عليها يرسم الارتباط بين المثيرات والاستجابات ، ومثل هذا الاتجاه في عملية التعلم يؤكد النظرية الميكانيكية والخارجية أو يؤكد على العوامل خارج المتعلم إنها ميكانيكية يصبح فيها اختيار المثير وتعزيزه عملية آلية صرفه وعلى أية حال فإن علم النفس المعرفي (الإدراكي) لا يقبل وجهة النظر السلوكية ؛ لأن مصطلح التفكير عندهم يتضمن النشاط والعمليات العقلية، وللعقل دور مهم في تحصيل المعرفة الجديدة ؛ أي أن التعلم في نظرهم يتأثر أساساً بما يدور داخل عقول الأفراد وبما يدور خارجهم ، فالعقل ليس صفحة ملساء ؛ وإنما هو أداء أساسية أو محدد أساسي في اكتساب وتخزين المعرفة .

ومن أشهر علماء النفس المعرفيين (أوزوبل) (Ausubel) في كتابه «علم النفس التربوي» ؛ إذ يؤكد هذا الرجل على الفرد في عملية التعلم ويؤكد من هذا الفرد على العقل ، ويقول : إن هناك نوعين من أنواع التعلم تعلم الصم أو الحفظ ، وتعلم الفهم ؛ فتعلم الحفظ أساسه التلقين والتكرار ، أما تعلم الفهم فأساسه نشاط الطالب وإيجابياته ، وعلى هذا فإن التعلم ينبغي أن يكون ذا معنى والمتعلم ينبغي أن يفهم ما يتعلمه .

## (٣) أصحاب نظرية القواعد الانتقالية التوليدية :

في كتاب « تشومسكي » التركيب النحوي » "Synfactic structure" الذي طبع سنة ١٩٥٩م ذكر « تشومسكي » أن اللغة أكثر تعقيداً مما ذكر أصحاب

الطريقة السلعية الشفوية وهو لهذا يفرض النظرية السلوكية في التعليم أي في تعلم اللغة بصفة خاصة ودعم (أي تشومسكي) وجهة النظرية العقلية أو الفكرية في تعليم اللغة ، وفي نظرية « تشومسكي » ذكر أنه ينبغي أن تكون القواعد قادرة على توليد أو إيجاد جميع الجمل المقبولة لدى أبناء اللغة . . وفي نفس الوقت ينبغي أن تكون القواعد محدودة ؛ حتى يمكن للدارس أن يسيطر على النظام الضروري وبخاصة من الناحية التركيبية .

ومن تفسير « تشومسكي » لتعلم اللغة ظهر ما يلي :

١- استخدام اللغة مرتبط بالقواعد ؛ فمعرفة المتحدثين باللغة مبني على مجموعة محدودة من القواعد ، وهم يستخدمونها (أي أصحاب اللغة) في فهم وإنتاج كثير من التركيب غير المحدودة .

٢- اللغة مختلفة حتى لدى أبنائها ، والمتحدثون باللغة يخلقون دائماً قوالب منطوقة لم تُسمع من قبل .

٣- بناءً على ما سبق هناك فرق بين ما نقوله بالفعل وبين معرفة قوله . لذلك فهناك مصطلحان مستخدمان : القدرة "Competence" والكفاءة : "performance" فالقدرة هي معرفة المبادئ والكفاءة هي استخدام هذه المبادئ .

٤- تحليل الجمل يُبنى على أمر أساسي هو أن هناك ما يسمى بالتركيب السطحي ؛ وهو ما نسمعه أو نقرأه أما التركيب الداخلي فيتعلق بالمعنى .

وجهة نظر الخبرة :

ذكر « ديل لانج Dale Lange »، تعقيباً على هذه المناقشات الدائرة والحامية أن كلا الجانبين (المدرسة الشفوية والمدرسة الفكرية) قد اهتم بناحية وتغاضى أو أهمل ناحية أخرى . والرسم التالي يبين نوع الخطأ الذي وقع

فيه أصحاب هذه الطريقة الشفوية الأذنية وأصحاب الطريقة الفكرية ، كما يبين هذا الرسم الحدث اللغوي وانتقال الرسالة من المتحدث أو الكاتب إلى السامع أو القارئ .

النية أو القصد - التفسير .

اختيار الرمز- الفهم .

النطق - الاستماع .

## الرسالة

ذكر « ديل لانج » أنه في الحدث اللغوي يقابل النية لدى المتحدث التفسير لدى المستمع ويقابل اختيار الرمز لدى المتحدث الفهم (لدى المستمع ويقابل النطق لدى المتحدث الاستماع لدى المستمع) .

فإذا نظرنا إلى هذا الرسم وجدنا أن أصحاب نظرية الإدراك الفكري يركزون على الجانبين الأولين (النية والتفسير - وجانب التفسير والفهم) ؛ وهم بذلك يهملون النطق والاستماع .

أما المدافعون عن الطريقة الشفوية الأذنية فهم يركزون على الجانب الأخير (النطق والاستماع) ؛ وعلى ذلك فلكي ندرس الحدث اللغوي دراسة جيدة يجب أن نضع في اعتبارنا هذه الجوانب الفكرية وهذه الجوانب العملية .

أي جانب القدرة : "competence" وجانب الكفاءة "Performance" أو الجانب الفكري والجانب العملي من المهارات اللغوية .

ومن العيوب الظاهرة في تعليم اللغة العربية للأجانب استخدام الطرق التقليدية في تقديم المواد التعليمية وتنظيمها ، والطريقة التي ساد استخدامها في العقدين السابقين طريقة القواعد والترجمة . "Grammar translation" والمحاولات التي تبذل لتدريب الطالب على تطبيق القواعد والاستثناءات في هذه الطريقة (طريقة القواعد والترجمة) يتم - في الطالب - على أشكال صناعية في اللغة بل إن بعض هذه الأشكال نادراً ما يحدث أو يستخدم وبعضها قديم وبعضها قليل الاستخدام واللغة المتعلمة - غالباً - هي اللغة الأدبية والمفردات

تقدم منفصلة ، وفي بعض الأحيان تُقدّم المفردات المبهمة والغامضة ، ودور الطالب في حجرة الدراسة دور سلبي ، وفي هذه الطريقة لا تُعطى أهمية تذكر للنطق الدقيق أو التنظيم أو لمهارات الاتصال ، وعلى العكس من ذلك هناك تأكيد زائد على معرفة القواعد واستثناءاتها ، وعلى هذا كان هناك ضعف بيّن في التدريب على استخدام اللغة ليعبر الفرد عن نفسه مستخدماً أفكاره هو .

وفي أواخر العقد الماضي وإلى الآن هناك اتجاه في معظم مراكز تعليم اللغة العربية في الوطن العربي - بصفة خاصة - إلى الاعتماد على الطريقة الأكثر حداثة في تعليم اللغات الأجنبية مثل طريقة القراءة "Reading method" والطريقة المباشرة "Direct Method" والطريقة الشفوية السمعية "Audral - lin" "oral Approach" وقد حدث هذا التحول في النظر إلى طريقة التدريس نتيجة الاتصال الثقافي بأوروبا وأمريكا والبعثات التعليمية وظهور بعض الدراسات العلمية ، ونتيجة لبعض التدريبات العملية التي أجريت بمعهد الخرطوم الدولي اللغة العربية .

وأياً كان السبب فإن أحدث الكتب الدراسية التي أعدت لتعليم اللغة العربية للأجانب الكبار في المستوى الأول قد اعتمدت على الطريقة الأذنية - الشفوية والتعديلات التي طرأت عليها نتيجة الجهود التي بذلها علماء النفس المعرفيون والتي بذلها « تشومسكي » وتلاميذه فجمعت هذه الطريقة بين أمرين :

١- الاهتمام بعملية الاتصال في تعليم اللغة العربية .

٢- الاهتمام بالتركيب والمبادئ التي تحكم هذه التراكيب ، ذلك الكتاب هو الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية للأجانب ، الجزء الأول الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في نهاية عام ١٩٨٣ م .

ولعل الأخذ بهذا الاتجاه في طريقة التدريس في تعليم اللغة العربية للأجانب يفتح الباب لمزيد من التطوير في هذا المجال بأبعاده المختلفة .

\* \* \*